

## وصول سبایا الإمام الحسین(ع) إلى الشام

<?xml encoding="UTF-8?">



دخلت قافلة السبایا مدينة دمشق في الأول من شهر صفر عام ( ٦١ هـ ) ، وكان يزيد قد أمر بتزيين المدينة ، وأمر كذلك بتسيير الراقصات في الشوارع وهُنَّ يرقصُنَّ على أنغام الطبول ، ابتهاجاً بقتل ابن بنت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) .

فَجِيءَ برؤوس الشهداء يتقدَّمها رأس الحسين ( عليه السلام ) إلى بلاط يزيد ، فأدخلت عليه ، وكان بيده قضيب ، فأخذ يضرب به فَمَ الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، ويُردِّد الأبيات الآتية :

|                                     |   |
|-------------------------------------|---|
| لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهَدُوا | جَزَعَ الْخَزْرَجُ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلُ        |
| لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحاً    | ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلِّ           |
| لَعَبْتُ هَاشِمٌ بِالْمَلِكِ فَلَا  | خَبْرُ جَاءَ وَلَا وَحْيُ نَزَلَ                |
| لَسْتُ مِنْ خَنْدَفٍ إِنْ لَمْ      | أَنْتَقِمِ مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلْ |

وقد رافق وصول سبایا آل البيت ( عليهم السلام ) إلى دمشق أيضاً حملة إعلامية مُضِلَّة ، تقول : إن أولئك السبایا خرجوا على الخليفة الشرعي يزيد ، فقتلَهُم ، وجيء بنسائِهِم وأطفالِهِم ، وأشاعوا ذلك بين الناس ، وأمروهم بإظهار الزينة والفرح .

وفي مجلس يزيد ، أوقف الإمام زين العابدين ( عليه السلام ) مع السبایا بين يدي يزيد .

فقال له يزيد : أراد أبوك وَجَدُكَ أَنْ يكونا أميرين ، فالحمد لله الذي أذلَّهُما ، وسَفَكَ دِمَاءَهُما .

فقال الإمام زين العابدين ( عليه السلام ) : ( يَا ابْنَ مُعَاوِيَةَ وَهَنْدٍ وَصَخْر ، لَمْ يَزَلْ آبَائِي وَأَجْدَادِي فِيهِمُ الْإِمْرَةُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُولَدَ .

ولقد كان جَدِّي علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار .

وَيْلَكَ يَا يَزِيدُ ، إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا صَنَعْتَ ، وما الذي ارتكبت من أبي ، وأهل بيتي ، وأخي ، وعُمُومتي ، إِذَا لَهَرَبْتَ فِي الْجِبَالِ ، وفرشت الرماد ، فأبشِرْ بِالْخِزْيِ وَالنَّدَامَةِ غَداً ، إِذَا جُمِعَ النَّاسُ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ) .

ثم قال الإمام زين العابدين ( عليه السلام ) ليزيد : ( أتأذن لي أن أرقى هذه الأعواد فأتكلم بكلامٍ فيه لله تعالى رضى ، ولهؤلاء أجرٌ وثواب ) .

فأبى يزيد ، وألحَّ الناس عليه ، فما زالوا به حتى أذن له .

فقال الإمام زين العابدين ( عليهما السلام ) : ( الحمد لله الذي لا بداية له .. ) .

إلى أن قال الإمام ( عليه السلام ) : ( أُعطينا سِتًّا ، وفُضِّلنا بِسَبْع ، أُعطينا العِلْم ، والجَلْم ، والسَّماحة ، والفَصاحة ، والشَّجاعة ، والمَحَبَّة في قلوب المؤمنين .

وفُضِّلنا : بأنَّ مِنَّا النَّبي ، والصَّديق ، والطَّيَّار ، وأسد الله ، وأسد رسوله ، وسبَّط هذه الأمة .

أَيُّهَا النَّاس ، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي أَنْبَأْتُهُ بِحَسَبِي وَنَسَبِي .

أَيُّهَا النَّاس ، أَنَا بَنُو مَكَّة وَمِنَى ، أَنَا ابْنُ زَمْزَمَ وَالصَّفا ، أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ الرُّكْنَ بِأَطْرَافِ الرِّدَا ، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ انْتَزَرَ وَارْتَدَى ، وَخَيْرٍ مَنْ طَافَ وَسَعَى ، وَحَجَّ وَلَبَّى .

أَنَا ابْنُ مَنْ حُمِلَ عَلَى الْبَرَّاق ، وَبَلَغَ بِهِ جِبْرَائِيلُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، فَكَانَ مِنْ رَبِّهِ كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى .

أَنَا ابْنُ مَنْ صَلَّى بِمَلَائِكَةِ السَّمَاء ، أَنَا ابْنُ مَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ الْجَلِيلُ مَا أَوْحَى ، أَنَا ابْنُ مَنْ صَرَبَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ بِبَدْرِ وَحْنَيْن ، وَلَمْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، أَنَا ابْنُ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَارِثِ النَّبِيِّينَ ، وَيَعْسُوبِ الْمُصَلِّينَ ، وَنُورِ الْمُجَاهِدِينَ ، وَقَاتِلِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ ، وَمُفَرِّقِ الْأَحْزَابِ ، أَرْبَطُهُمْ جَأشًا ، وَأَمْضَاهُمْ غَزِيمَةً ، ذَاكَ أَبُو السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ .

أَنَا ابْنُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاء ، وَسَيِّدَةِ النِّسَاء ، وَابْنُ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى .

أَنَا ابْنُ الْمُرْمَلِ بِالْذَّمَّاء ، أَنَا ابْنُ ذَبِيحِ كَرْبَلَاء ، أَنَا ابْنُ مَنْ بَكَى عَلَيْهِ الْجِنَّ فِي الظُّلُمَاء ، وَنَاخَتْ الطَّيْرُ فِي الْهَوَاء ) .

فلما بلغ الإمام ( عليه السلام ) إلى هذا الموضع ، ضَجَّ الناس بالبكاء ، وخشي يزيد الفِتنة ، فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنَ أَنْ يُؤَذِّنَ لِلصَّلَاةِ ، فَأَذَّنَ .

أما زينب ( عليها السلام ) ، فقد روى المؤرخون أنها أَلَقَتْ خُطْبَةً طَوِيلَةً فِي الْبَلَاط ، أَخَزَّتْ فِيهَا يَزِيدَ وَالنَّظَامَ الْأُمَوِي ، وَقَدْ جَاءَ فِيهَا : ( أَظَنَنْتُ يَا يَزِيدُ أَنَّكَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَأَفَاقَ السَّمَاءِ ، فَأَصْبَحْنَا نُسَاقُ كَمَا تُسَاقُ الْأَسَارَى ، فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ ، وَنَظَرْتَ فِي عَظْفِكَ ، جَذْلَانِ مَسْرُورًا ، أَمِنْ الْعَدْلِ - يَا ابْنَ الطُّلُقَاءِ - تَخْدِيرِكَ خَرَائِكَ وَإِمَاءِكَ ، وَسَوْقِكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا .

وَحَسْبُكَ بِاللَّهِ حَاكِمًا ، وَبِمُحَمَّدٍ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ) خَصِيمًا ، وَبِجِبْرَائِيلَ ظَهِيرًا ، إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ ، وَاسْتَغْظِمُ تَقْرِيعَكَ ، وَاسْتَكَثِّرُ تَوْبِيخَكَ ، لَكِنَّ الْعَيُونَ عَبْرَى ، وَالصُّدُورَ حَرَى ، فَكَيْدُ كَيْدِكَ ، وَاسْوَاعُ سَعْيِكَ ، وَنَاصِبُ جَهْدِكَ ، فَوَاللَّهِ لَا تَمَحُو ذِكْرَنَا ، وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنَا ، وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا فَنَدٌ ، وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدٌ ، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ ، يَوْمَ يَنَادِي

المُنَادِي : أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ).

بقي الإمام زين العابدين ( عليه السلام ) ، وعمته زينب ( عليها السلام ) ، وباقي السبّايا ، فترةً في الشام ، ثم سَلَكَوا طريق العودة إلى المدينة ، واتَّخَذَتْ رؤوسُ الشهداء طريقَها إلى كربلاء ، لَتَرْقُدَ إلى جِوار الأجساد .